

تفسير البحر المحيط

@ 202 @ صليبه ولا يتعرض إلى ما يؤدّي إلى ذلك ، ولما أمر تعالى باتباع ما أوحى إليه وبموادعة المشركين عدل عن خطابه إلى خطاب المؤمنين ، فنهوا عن سب أصنام المشركين ولم يواجهه هو صلى الله عليه وسلم) بالخطاب وإن كان هو الذي سبت الأصنام على لسانه وأصحابه تابعون له في ذلك لما في مواجهته وحده بالنهي من خلاف ما كان عليه صلى الله عليه وسلم (من الأخلاق الكريمة ، إذ لم يكن عليه السلام فحاشاً ولا صخاباً ولا سبباً ، فلذلك جاء الخطاب للمؤمنين فقليل : { وَلَا تَسُبُّواْ } ولم يكن التركيب ولا تسب كما جاء { وَأَعْرِضْ } وإذا كانت الطاعة تؤدّي إلى مفسدة خرجت عن أن تكون طاعة فيجب النهي عنها كما ينهى عن المعصية و { السّـدّـينَ يَدْعُوْنَ } هم الأصنام أي يدعونهم المشركون وعبر عن الأصنام وهي لا تعقل بالذين كما يعبر عن العاقل على معاملة ما لا يعقل معاملة من يعقل ، إذ كانوا ينزلونهم منزلة من يعقل في عبادتهم واعتقادهم فيهم أنهم شفعاء لهم عند الله تعالى ، وقيل : يحتمل أن يراد ب { السّـدّـينَ يَدْعُوْنَ } الكفار وظاهر قوله : { فَـيَسُبُّواْ اللّـهَ } أنهم يقدمون على سب الله إذا سب آلهتهم وإن كانوا معترفين بالله تعالى ، لكن يحملهم على ذلك انتصارهم لآلهتهم وشدة غيظهم لأجلها فيخرجون عن الاعتدال إلى ما ينافي العقل كما يقع من بعض المسلمين إذا اشتد غضبه وانحرف فإنه قد يلفظ بما يؤدّي إلى الكفر نعوذ بالله من ذلك ، وقال أبو عبد الله الرازي : ربما كان بعضهم قائلاً بالدهر ونفى الصانع فكان يأتي بهذا النوع من الشناعة أو كان المسلمون يسبون الأصنام وهم كانوا يسبون الرسول فأجرى سب الرسول مجرى سب الله تعالى كما قال : { إِنْ السّـدّـينَ يَدْعَايَعُوْكَ إِنْ رَّهْمَا يُدْعَايَعُوْنَ اللّـهَ } وكما قال : { إِنْ السّـدّـينَ يُؤْذُوْنَ اللّـهَ وَرَسُوْلَهٗ } أو كان بعض الكفرة يعتقد أن شيطاناً يحمل الرسول على ادعاء النبوة والرسالة وكانوا بجهلهم يشتمون ذلك الشيطان بأنه إله محمد ، انتهى . وهذه احتمالات مخالفة للظاهر وإنما أوردتها لأنه ذكر أن المعترفين بوجود الصانع لا يجسرون أن يقدموا على سبه تعالى ، وقد ذكرنا ما يحمل على حمل الكلام على ظاهره ، وقال بعض الصوفية : بمعنى خاطبهم بلسان الحجة وإلزام الدليل ولا تكلموهم على نوازع النفس والعادة وفسبوا منصوب على جواب النهي ، وقيل : هو مجزوم على العطف كقولك : لا تمددها فتشقها ، وعدواً مصدر عدا وكذا عدو وعدوان بمعنى اعتدى أي ظلم ، وقرأ الحسن وأبو رجاء وقتادة ويعقوب وسلام وعبد الله بن يزيد بضم العين والبدال وتشديد الواو وهو مصدر لعدا كما ذكرناه ، وجوزوا فيهما انتصابهما على المصدر في موضع الحال أو على المصدر من غير لفظ الفعل لأن سب الله

عدوان أو على المفعول له ، وقال ابن عطية : وقرأ بعض المكيين وعينه الزمخشري فقال عن ابن كثير : بفتح العين وضم الدال وتشديد الواو أي أعداء وهو منصوب على الحال المؤكدة وعدو يخبر به عن الجمع كما قال : هم العدو ، ومعنى { بَرِّغَايَرِ عِلَامِ } على جهالة بما يجب □ تعالى أن يذكر به وهو بيان لمعنى الاعتداء . .

{ كَذَلِكَ زَايَسًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَاهُمْ } أي مثل تزيين عبادة الأصنام للمشركين { زَايَسًا لِكُلِّ أُمَّةٍ } وظاهر { لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَاهُمْ } لعموم في الأمم وفي العمل فيه فيدخل فيه المؤمنون والكافرون وتزيينه هو ما يخلقه ويخترعه في النفوس من المحبة للخير أو الشر والاتباع لطرقه ، وتزيين الشيطان هو ما يقذفه في النفوس من الوسوسة وخطرات السوء ، وخص الزمخشري { لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَاهُمْ } فقال : من أُمم الكفار سوء عملهم أي خليئناهم وشأنهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم ، وأمهلنا الشيطان حتى زين لهم أو زيناه في زعمهم وقولهم : إن □ أمرنا بهذا وزينه لنا انتهى ، وهو على طريقته الاعتزالية ، وقال الحسن : أي { زَايَسًا لِكُلِّ أُمَّةٍ } العمل الذي أوجبناه عليهم فجعل { زَايَسًا } بمعنى شرعنا { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ } عام والعمل خاص بما أوجبه □ تعالى ، وأنكر هذا الزجاج وقال : هو بمعنى طبع □ على قلوبهم والدليل عليه : { فَمَنْ * زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ }